

العقوبات الأمريكية على روسيا وأثرها على أوروبا

م.د. ظفر عبد مطر التميمي*

الملخص :

تعد المصالح المبنية وفقاً للمنهج الواقعي إحدى ركائز العلاقات الإستراتيجية ما بين روسيا الاتحادية والولايات المتحدة الأمريكية . فهما من ضمن الدول الكبرى التي لها معايير خاصة بهما تحكم علاقتهما ببعضهما البعض ، وهذه المعايير تحدد مفاهيم مختلفة ، كالتعاون والنزاع ، والقوة المتبادلة ، فضلاً عن التأثير الإيجابي والسلبي على قضايا دولية مختلفة في وقتي السلم والحرب . وتؤدي روسيا الاتحادية دوراً مهماً في السياسات العالمية تتمثل إحداها بإعادة التوازن الدولي في العلاقات الدولية عبر التحالفات الإستراتيجية ، وبما أن توازن المصالح يعتمد بشكل أساسي على توازن القوى ، فعندما تتوازن القوى بين الدول تتوازن مصالحها أيضاً ، فإن هذا الأمر يشكل عقبة في وجه دور الولايات المتحدة الأمريكية لإعادة الهيمنة . وتسعى روسيا الاتحادية لإعادة ترتيب علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية لسد الفجوة الحاصلة في عناصر القوة والتأثير على الشؤون الإقليمية والدولية وفقاً لاعتبارات توازن القوى ، وبالتالي فإن روسيا الاتحادية تسعى لإيجاد نظام دولي جديد يستند إلى ديناميكية القرارات الجماعية للمسائل المهمة ، ورفض القوة الأحادية الأمريكية في إدارة العلاقات الدولية ، حتى وإن تطلب ذلك مواجهة العقوبات الدولية التي تفرض عليها بين مدة لأخرى .

Abstract:

Realistic interests are one of the pillars of strategic relations between the Russian Federation and the United States of America. They are among the great powers that have its own standards that governing their relationship with each other, these standards define different concepts, such as cooperation , conflict, mutual force, as well as influence positive and negative on various international issues in times of peace and war . The Russian Federation plays an important role in global politics, one of which is the restoration of international

*مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية ،

balance in international relations through strategic crises , and since the balance of interests depends primarily on the balance of power, when the balance of power between nations balances their interests as well , this is an obstacle to the role of the United States of America to regain hegemony. The Russian Federation is seeking to rearrange its relations with the United States of America to bridge the gap in the elements of power and influence the regional and international affairs according to considerations of balance of power , and thus the Russian Federation seeks to find a new international order based on the dynamics of collective decisions of the important issues , and rejection of the unilateral American power in the management of international relations , even if required to face international sanctions imposed on it from time to time.

المقدمة :-

بالعودة إلى التاريخ القريب للعلاقات الدولية ما بين روسيا الاتحادية والولايات المتحدة الأمريكية ، نجد بان بداية الصراع ما بينهما يتحدد في المدة الزمنية التي جاءت عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ونشوء مفهوم الحرب الباردة بين كلا الدولتين وحلفائهما، وظهور حلفي شمال الأطلسي و وارسو، وبروز الثنائية القطبية كإشارة واضحة إلى أن العالم لا يمكن أن تتم إدارته من طرف واحد . ومنذ وصول الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى السلطة ، بدأت العلاقات الروسية - الأميركية تأخذ منحى آخر، وذلك من خلال رغبة الرئيس الروسي باستعادة أمجاد الحقبة السوفيتية (السابقة) ، واستعادة روسيا الاتحادية لمكانتها الدولية وتعزيزها في مواجهة الهيمنة الأميركية ، والبحث عن أماكن للتأثير والنفوذ ، وانعكاس كل ذلك على طبيعة العلاقة الإستراتيجية مع الولايات المتحدة الأميركية ومواقفها سلبيًا وإيجابيًا، وعلى طبيعة القضايا الإقليمية والدولية بشكل عام . وكانت مراحل العلاقات بينهما تتسم بكونها ذات طابع تنافسي أكثر من كونها تعاونية ، خاصة بعد ارتفاع مقدرات القوة الروسية على اثر نجاحات اقتصادية عدة ، كما ارتقى نمط القيادة الروسية الجديد ، وانتهجت روسيا الاتحادية سياسة جديدة قوامها الاتجاه نحو الغرب بصفة الشراكة، وليس بصفة القوة المضادة ، رغبة من القائمين على القرار الروسي بكسب منافع محددة ، اعتقادا منهم بأن الشراكة مع الغرب ستخرج روسيا من ضائقها الاقتصادية ، وهي الضائقة التي كانت السبب الأساس في تفكك القوة العظمى السابقة ، حينما أدى سباق التسلح مع الولايات المتحدة الأمريكية إلى نتائج كارثية على الاقتصاد السوفيتي (السابق) . إن معظم الأحداث التي تلت مرحلة الحرب الباردة أدت بالفعل إلى ظهور آلية جديدة في التفكير الاستراتيجي بين القوتين ، والتي دفعت بكل منهما إلى خوض حالة من الصراع على مناطق النفوذ الرخوة في العالم ، وهذا الأمر استوجب فرض عقوبات أميركية كوسيلة ردع ثانوية في وجه التقدم الروسي البطيء نسبيًا مقارنة بالدور الأمريكي في مناطق عدة من العالم .

مشكلة البحث :-

تتمثل مشكلة البحث في محاولة الإجابة على الأسئلة البحثية التالية :-

- ١- أسباب الخلاف بين الدولتين ؟
- ٢- أثر تلك العقوبات على العلاقات بين روسيا الاتحادية والدول الأوربية ؟
- ٣- ماهية مستقبل العلاقات القريبة الأمد ما بين روسيا الاتحادية والولايات المتحدة الأمريكية ؟

أهمية البحث :-

يسعى البحث إلى إلقاء الضوء على الأحداث الحالية على الساحة الدولية وتحليلها واستشراف حقيقة العلاقات الروسية - الأميركية بعد فرض العقوبات ، وتأثير تلك العقوبات على مجمل العلاقات بين روسيا الاتحادية والقارة الأوروبية .

هدف البحث :-

يهدف البحث إلى التعرف على مستقبل العلاقات الروسية - الغربية ، وبشكل خاص مع الولايات المتحدة الأمريكية ، وتأثير ذلك على حالتى التعاون والصراع ما بينهما ، ضمن مرحلة السعي نحو تحقيق أهداف إستراتيجية ، ودراسة التوازن بينهما من خلال العلاقة المشتركة فيما بينهما مع دول أوربا .

فرضية البحث:-

يقوم البحث على افتراض أن دول قارة أوربا تشكل إحدى بوابات التوازن الروسي في العالم بعد مرحلة انتهاء الحرب الباردة ، وان قوة روسيا الاتحادية تعتمد على قدرتها على مواجهة العقوبات الأمريكية المفروضة عليها من دون خسارة الحلفاء الأوربيين ودورهم في قضايا مشتركة أخرى ، وبالتالي فان العقوبات المفروضة على روسيا الاتحادية من الولايات المتحدة الأمريكية ستغير من شكل العلاقة ما بين روسيا الاتحادية ودول قارة أوربا ، أو بمعنى اصح أنها ستؤثر سلبيا على الداخل الأوربي والروسي معا .

منهجية البحث:-

تم الاعتماد على منهج التحليل النظري الذي يعد منهجاً مهماً في الدراسات السياسية ، فضلا عن الاستعانة بمنهج التحليل الوصفي الذي يقوم على فكرة ارتباط المتغيرات المؤثرة في البيئة الدولية مع اتجاهات صناع السياسة كما تم الاستعانة بمنهج الاستشراف المستقبلي لمحاولة استشراف العلاقات الروسية - الأمريكية . وقد قسمت الدراسة إلى :-

أولاً :- التفاعل الروسي - الأمريكي بعد الحرب الباردة .

ثانياً :- أسباب فرض العقوبات الأمريكية .

ثالثاً:- الرد الروسي على العقوبات .

رابعاً:- تأثر أوربا بمستقبل العلاقات الروسية - الأمريكية .

الخاتمة .

المبحث الأول

التفاعل الروسي - الأمريكي بعد الحرب الباردة .
تختلف الآراء حول بداية الصراع بين الشرق والغرب أو ما يمكن تسميته بالصراع العالمي بين روسيا الاتحادية حالياً والولايات المتحدة الأمريكية ، وهناك ثلاث احتمالات من الناحية التاريخية ، الأول يعود إلى تاريخ صدور كتاب البيان الشيوعي عام (١٨٤٨) والذي أسسه كارل ماركس و فريدريك انجلز على اعتبار معادته للنظام الرأسمالي ، والثاني يعود إلى تاريخ انطلاق الثورة البلشفية في عام (١٩١٧) وتأسيس أول دولة اشتراكية في العالم لتشكل عداء تاريخياً للدول الرأسمالية في الغرب ، والثالث يعود ببداية الصراع إلى الحرب العالمية الثانية عام (١٩٤٧) وهو الرأي الأرجح لبداية صراع الشرق والغرب والذي قاد إلى الحرب الباردة ، ففي ذلك العام تحدث الرئيس الأمريكي (هاري ترومان) عن ضرورة التصدي للمد الشيوعي في أوروبا الشرقية وفي أي مكان من العالم ، وأطلق الصحفي الأمريكي (H. B. Swope) مصطلح الحرب الباردة ، ويعني به حالة اللاحرب واللاسلم بين القوتين السوفيتية (سابقاً) والأمريكية ، واستخدمه لأول مرة بشكل علني (Bernard Baruch) وهو المستشار المالي للرئيس الأمريكي في إحدى مناقشات الكونغرس الأمريكي عام (١٩٤٧) ، أما الاستخدام الرسمي لهذا المصطلح فقد جاء في وثيقة مجلس الأمن القومي الأمريكي المرقمة (٦٨ الصادرة في نيسان عام ١٩٥٠) قبل الحرب الكورية ، وجاء في الوثيقة التي نظمها

(Paul Nitz) * :- إن الحرب الباردة هي في الواقع حرب حقيقية، إذ يتعرض بقاء العالم الحر للخطر أمام تهديد الإتحاد السوفيتي (السابق) فهو صراع سياسي أيديولوجي واقتصادي ظهر بعد الحرب العالمية الثانية بين (الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي) (السابق)).^(١)

والحقيقة أن أنماط التفاعلات التقليدية التي كانت سائدة في العلاقات الدولية أي الأحادية والثنائية والتعددية لم تعد تجسد واقع السياسة الدولية ، فأصبحت بنية النظام الدولي تتسم بأحادية وتعددية قطبية مع وجود هيمنة واضحة للقرار الأمريكي ، إذن فالعلاقة بين روسيا الاتحادية والولايات المتحدة الأمريكية هي بالفعل علاقة تنافسية ذات أبعاد أمنية - جيوبولتيكية ، تميل أحياناً إلى التعاون وليس الصراع لحل بعض القضايا الدولية الشائكة ، إن ما ذهب إليه الرئيس الأمريكي الأسبق بوش الأب عام ١٩٩١ عندما قال :- " إن الولايات المتحدة الأمريكية وحدها من بين دول العالم تملك من المستوى الأخلاقي والإمكانات المادية ما يكفي لإيجاد نظام عالمي جديد " .^(٢) كان بداية حقيقية لإشعال فتيل الأزمات ليس بينها وبين روسيا الاتحادية فقط ، بل وبين معظم الدول التي تحاول أن ترقى إلى مرحلة أكثر ابتعاداً عن المحور الأمريكي .

أن بزوغ روسيا الاتحادية كلاعب إستراتيجي على الساحة الدولية أمر ملاحظ بشكل واسع ، وقد قوبل بنوع من الرضا داخل روسيا وعدم ارتياح من قبل الولايات المتحدة

الأمريكية التي تقوم على فكرة انحدار روسيا الاتحادية وتراجعها من الساحة الدولية ، إذ أن هذه النظرة لم تعد قائمة في الوقت الذي تشارك فيه بصوت قوي حول قضايا رئيسة على الساحة الدولية .^(٣) مما أدى إلى تبني الإدارة الأمريكية إستراتيجية تقوم على إعادة تقديرها لطبيعة علاقاتها مع مختلف الدول والتي سترتبط بموقفها من الأولويات التي ستحددها الإستراتيجية الجديدة ، ويبدو أن حرب جورجيا شكلت في تداعياتها علامة لإعادة تشكيل العلاقات الروسية - الأمريكية من خلال إستراتيجية أمريكية تجاه منطقة آسيا، والتي تقوم على مبدأ توازن القوى ومنع حدوث تقارب بين القوى الآسيوية من خلال الإغراءات والعقوبات من أجل منع تدخل روسيا الاتحادية في منطقة الجنوب .^(٤)

إن هوس روسيا الاتحادية بفكرة عالم متعدد المراكز، ينطلق من مقدمات تفترض أنه سيكون سهلاً ، في مثل هذا العالم اللامركزي تحقيق الطموح في أن تكون قطباً وبالتالي فسيكون من الأسهل عليها التوسع في النفوذ ونشر القوات ، وهي من خلال أساليبها الجديدة المُعتمدة في التحرك تحاول ، زعزعة استقرار البلدان التي تقع على حدودها، و زعزعة استقرار دول البلقان ، بل أكثر من ذلك ، فإنها تحاول هدم العلاقات القائمة بين دول أوروبا ، وذلك بهدف تعزيز مكانتها وإضعاف حلف الناتو .^(٥)

المبحث الثاني

أسباب فرض العقوبات الأمريكية

بعد انهيار الاتحاد السوفييتي (السابق) تم تحديد الأولويات الإستراتيجية الأمريكية في وثيقة للبنتاغون في عام ١٩٩٢ والتي تهدف إلى منع عودة ظهور منافس جديد في مكان آخر من العالم ، من خلال الاستمرار باستهداف الجوانب الحيوية للمؤسسة العسكرية السوفييتية (السابقة) .^(٦)

حاولت روسيا الاتحادية الوصول إلى قمة الهرم الدولي وأخذ مكانتها السابقة ، واتضح ذلك بشكل جلي في مجموعة من المعطيات الدولية، لعل من أبرزها الحرب الروسية - الجورجية، وموقفها مما يسمى بالربيع العربي في منطقة الشرق الأوسط الموسع ، وسلوكها في الأمم المتحدة ، فضلا عن الأزمة السورية التي باتت مرتبطة مباشرة بمسألة الصراع الروسي - الأميركي ، وبانت ميدان صراع حقيقي بين الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها من جهة وروسيا الاتحادية وحلفائها من جهة ثانية ، مع ما يرافق ذلك من تقارب وتباعد وتناقض وتشابك بسبب كثرة المتغيرات المؤثرة في هذا الصراع ، كما أن التواجد العسكري الأمريكي في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز كان يشكل تهديدا لمصالح روسيا القومية، فهو توسع أمريكي واضح المعالم ، دفع بروسيا الاتحادية إلى تعليق مشاركتها في معاهدة الحد من الأسلحة التقليدية في القارة الأوروبية ، والتي تم التوصل إليها بين الاتحاد السوفييتي (السابق) وحلف الناتو ، وذلك لان الموقف الروسي من وجهة نظر الإدارة الأمريكية يعد ضارا بعملية الحد من التسلح ، وجاء الموقف من البرنامج النووي الإيراني وسعي إيران لامتلاك أسلحة نووية ، كعذر واضح أدى بروسيا الاتحادية لاتخاذ مواقف أكثر حدة وأقرب

للمواجهة العسكرية ، ولعل ارتفاع عائدات أسعار النفط والغاز والتي ساهمت في نمو الاقتصاد الروسي وزيادة حضورها في أسواق الطاقة ، وتراجع قدرة الغرب على التأثير في سلوك روسيا الاتحادية ، التي لم تعد بحاجة إلى المساعدات والقروض ، مما عزز من قدراتها الإستراتيجية على الساحة الدولية وهياً لها إمكانية تحقيق مكاسب إستراتيجية في علاقاتها الدولية .^(٧)

إن قرار حلف الناتو بالتوسع شرقاً ليصل إلى حدود روسيا الاتحادية ، الأمر الذي عدته روسيا عاملاً مهدداً لأمنها القومي كونها اتجهت إلى توسيع حلف الناتو لاحتواء روسيا من جهة أوروبا الشرقية ، كما اتبعت سياسة نشطة في قلب أوراسيا للحد من النفوذ الروسي في المنطقة .^(٨) وعملت الولايات المتحدة الأمريكية على إلغاء المعاهدات الموقعة مع الاتحاد السوفييتي (السابق) ، لأن الأوضاع الدولية قد تغيرت واستبدلتها بمنظومات إقليمية تحجم روسيا الاتحادية وتضعها في دائرة صغرى لا تستطيع من خلالها الخروج من العزلة التي فرضت عليها، كما وجهت الإدارة الأمريكية انتقادات كبيرة إلى السياسة الروسية في مجال تجارة السلاح، ونقل التكنولوجيا الخاصة بأسلحة الدمار الشامل ولا سيما إلى كوريا الشمالية وإيران .^(٩) اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية عدة خطوات مضادة للسياسات الروسية فقد تم ووفقاً لمبادرة أمريكية عام ١٩٩٧ تشكيل جمعية الدول المعارضة للموقف الروسي في المناطق الانفصالية GUMA حسب الأحرف الأولى لأسماء هذه البلدان وهي جورجيا وأوكرانيا وأذربيجان ومولدافيا ، فضلاً عن نشر مستشاريها العسكريين في جورجيا التي أصبحت حلقة وصل لنقل النفط ومشتقاته من بحر قزوين إلى الغرب عام ٢٠٠٢ ، وقد وجهت روسيا الاتحادية تحذيراً للإدارة الأمريكية معارضة لأي توسع لحلف شمال الأطلسي يضم أوكرانيا وجورجيا، كونهم استغلوا الضعف الروسي بعد انهيار الاتحاد السوفييتي (السابق) من أجل رسم خريطة جيوسياسية جديدة لتلك المنطقة بحيث تكون خارج النفوذ الروسي ، إلا أن الأعمال الاستفزازية التي قامت بها الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق مشروع الدرع الصاروخي والضغط من أجل تسريع إنضمام جورجيا إلى حلف شمال الأطلسي ساهم في توتر العلاقات بين البلدين .^(١٠) وقد أسهمت قضية الدرع الصاروخي الأمريكي في تعزيز التوتر بين البلدين من خلال تعزيز الإدارة الأمريكية لموقفها في المنطقة لاسيما بعد موافقة بولندا على نصب الدرع الصاروخي لديها بحلول عامي ٢٠١١-٢٠١٢ وهذا العمل جزء من الإستراتيجية الأمريكية الإستفزازية في المناطق السوفييتية (السابقة) ، فقد اتجهت في بعض الأحيان إلى إتباع سياسة تفضيلية من خلال التقارب مع بعض الدول الاشتراكية التي كانت تقع ضمن دولة الاتحاد السوفييتي (السابق) وتحسين علاقاتها معها وتشجيعها على القيام بإصلاحات جديدة في نظام الحكم وفق المنظور الغربي الأمريكي على اعتبار أنه النموذج الوحيد في العالم الذي خرج منتصراً في الحرب الباردة .^(١١) إذ عارضت روسيا إنشاء الولايات المتحدة الأمريكية للدرع الصاروخي ومحطة الرادار في بولندا وجمهورية التشيك كونها ترى فيه خطراً على أمنها القومي معتبرتاً أنها موجهة ضد

روسيا وليس إيران كما تدعي الولايات المتحدة الأمريكية بأن إقامة نظام دفاعي مضاد للصواريخ سيحميها من صواريخ بالستية إيرانية مزودة برؤوس نووية وخصوصاً أنها تقع في القسم الآخر من العالم، إذ تعارض روسيا هذا المشروع وتؤكد أنها على جاهزة لأن تقف وجهاً لوجه مع الموقف الأميركي وأنها مستعدة لاحتمالات المواجهة العسكرية رداً على منظومة الدرع الصاروخية الأميركية في أوروبا. (١٢)

وفيما يلي أبرز ما جاء في هذه العقوبات :- (١٣)

- ١- يعاقب مشروع القانون الجديد روسيا الاتحادية لضمها شبه جزيرة القرم الأوكرانية ، وما قيل بشأن التدخل الروسي في انتخابات الرئاسة الأميركية عام ٢٠١٦ .
- ٢- يفرض المشروع عقوبات على روسيا الاتحادية تشمل الأنشطة المتعلقة بما يلي:- الأمن السيبراني ، مشاريع النفط الخام ، المؤسسات المالية ، الفساد ، انتهاكات حقوق الإنسان ، التهرب من العقوبات ، خطوط التصدير، خصخصة الأصول المملوكة للدولة من قبل المسؤولين الحكوميين ، عمليات نقل الأسلحة إلى سوريا .
- ٣- إمكانية فرض عقوبات على الشركات العاملة على خطوط غاز من روسيا الاتحادية ، وذلك من خلال الحد مثلاً من إمكانية وصولها إلى المصارف الأميركية أو استبعادها من الأسواق العامة الأميركية ، كما يسمح بفرض عقوبات على شركات أوروبية تعمل في قطاع الطاقة بروسيا الاتحادية .
- ٤- يعتزم الكونغرس الأميركي بهذا القرار معاقبة روسيا على حملة التضليل والقرصنة التي اتهمت بتنفيذها خلال الانتخابات الرئاسية الأميركية أواخر ٢٠١٦ .
- ٥- إغلاق المباني القنصلية الروسية في الولايات المتحدة الأميركية .
- ٦- فرضت وزارة الخزانة الأميركية عقوبات إضافية على خمسة كيانات روسية وثلاثة أفراد روس قائلة إنهم عملوا مع جهاز المخابرات الروسي لشن هجمات إلكترونية على الولايات المتحدة الأميركية وحلفائها ، والشركات المعنية هي ديجيتال سكيوريتي ، وأي.إر.بي سكان ، وإمبدي ، ومعهد كفانت للأبحاث العلمية ، ودايف تكنو سيرفيسز .
- ٧- فرض عقوبات بسبب قضية تسميم سكريبال بـ"سلاح كيميائي" ، وتكون على حزمتين، الأولى تشمل حظر توريد الأجهزة الإلكترونية وقطع الغيار ذات الاستخدام المزدوج (مدني وعسكري) إلى روسيا الاتحادية .
- ٨- والحزمة الثانية وتشمل خفض مستوى العلاقات الدبلوماسية ، وحظر رحلات الناقلات الروسية "أيرفلوت" إلى الولايات المتحدة الأميركية ، فضلاً عن تقليص حجم جميع الصادرات والواردات بين البلدين بشكل كبير، وذلك إذا لم تقدم روسيا الاتحادية ضمانات بأنها لن تستخدم السلاح الكيميائي مستقبلاً .

المبحث الثالث

الرد الروسي على العقوبات .

واجهت روسيا الاتحادية الإستراتيجية الأمريكية الرامية إلى احتوائها بإستراتيجية قائمة على التحرك العسكري المباشر لضمان مصالحها، وأيضاً توسيع وزيادة الإنفاق العسكري، فضلاً على التهديد بالانسحاب من عدد من الاتفاقيات التي عقدت في أوقات سابقة ، وفي أيار/عام ٢٠٠٢ تعهدت الولايات المتحدة الأمريكية لروسيا الاتحادية في معاهدة (التخفيضات الهجومية الإستراتيجية) بتقليص عدد الرؤوس النووية الهجومية التي تمتلكها من (٦٠٠٠) إلى (٢٠٠٠)، وكانت هذه المعاهدة كسابقاتها استعراضية في أغلب التوقعات ، فلم تكن تقصد تخفيض وتقليص الأسلحة، كما أنها لم تهدف إلى خلق توازن إستراتيجي في العالم ، فالأسلحة الروسية قياساً إلى الأسلحة الأمريكية يمكن اعتبارها أقل تطوراً وقوة ، فالولايات المتحدة الأمريكية طورت أسلحتها النووية ، ولها حق امتلاك عشرة آلاف رأس نووي مخزونة يمكن إعادة تنشيطها خلال بضعة أيام عند الحاجة ، فضلاً عن نشرها نظام رادار في جمهورية التشيك وآخر مضاد للصواريخ في بولندا عامي (٢٠١١ و ٢٠١٢) بدعوى حماية حلفائها في حلف شمال الأطلسي " NATO " ، وهو الأمر الذي أثار حفيظة روسيا الاتحادية التي عدت هذا التصرف تصعيداً كبيراً في مجال تسابق التسلح وعودة إلى الحرب الباردة ومعاناتها ، ولذلك فقد طرح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين رأيه باشتراك روسيا في النظام الدفاعي الصاروخي في أوروبا كشرط في قبوله وألا فإنهم يرفضون هذا الإجراء ويعدون خرقاً للمعاهدات الخاصة بالأسلحة النووية .^(١٤)

اعتمدت روسيا الاتحادية في نهاية شهر أيار ٢٠١٨ مشروع قانون لمواجهة العقوبات الأجنبية ، ويخول القانون الرئيس والحكومة باتخاذ إجراءات للرد على التدابير غير الودية للدول الأجنبية، والإجراءات يمكن أن تكون:-^(١٥)

١- إنهاء أو تعليق التعاون بين روسيا الاتحادية والدول الأجنبية ، التي اتخذت سلوكاً عدائياً ضدها، بما في ذلك الشركات والمنظمات التابعة لهذه الدول .

٢ - حظر استيراد المنتجات والسلع من الدول الأجنبية غير الودية، على أن تقوم الحكومة بتحديد قائمة هذه المنتجات، وبشروط ألا تشمل القائمة سلعاً أساسية ليست لها بدائل في روسيا أو دول أخرى رغم نمو التبادل التجاري بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية بنسبة (٢٠%) خلال الأشهر التسعة الأولى من العام ٢٠١٧، إلا أنه ما يزال عند مستوى متدن هو ١٦.٩ مليار دولار، مقارنةً بتجارة روسيا الاتحادية مع دول أخرى مثل الصين، التي بلغت ٨٧ مليار دولار ، ووفقاً لبيانات رسمية فإن ثلث صادرات روسيا إلى أمريكا هي أخشاب ومنتجات كيميائية ومعدات ومحركات الصواريخ الفضائية ومعادن، أبرزها معدن التيتانيوم، الذي تستخدمه "بوينغ" في صناعة طائراتها في حين تستورد روسيا من الولايات المتحدة الأمريكية آلات ومعدات تكنولوجية تشكل حوالي (٤٣%) من إجمالي الصادرات الأمريكية إلى روسيا بشكل عام ، والمنتجات كيميائية (١٦.٥%)، ما يعني أن المنتجات الصناعية تستحوذ على الحصة الأكبر في التجارة بين البلدين .

٣- حظر حكومات هذه الدول وشركاتها من المشاركة في مشاريع حكومية في روسيا الاتحادية ، أو تقديم خدمات لكيانات ، كذلك منعها من المشاركة في خصخصة الممتلكات الحكومية بروسيا الاتحادية ، ورغم أن ميزان التبادل التجاري يصب في مصلحة روسيا الاتحادية بقيمة ١٠ مليارات دولار، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية بسبب انتهاجها سياسة العقوبات ضدها مرشحة لأن تخسر سوقا بقيمة ٧ مليارات دولار، وهي قيمة صادراتها ، كذلك فإن قطع العلاقات التجارية يصب في مصلحة روسيا الاتحادية كون منتجات الصلب والألمنيوم تستحوذ على حصة كبيرة من صادراتها إلى السوق الأمريكية ، وقدرت وزارة التنمية الاقتصادية الروسية أضرار البلاد من فرض الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، رسوما على استيرادات الصلب والألمنيوم منها بنحو ٣ مليارات دولار .

المبحث الرابع

تأثر أوروبا بمستقبل العلاقات الروسية - الأمريكية . رغم الإدعاءات الأمريكية حول هيمنتها الدولية في عالم أحادي القطبية عقب انهيار الاتحاد السوفييتي(السابق)، إلا أنها أثبتت أنها مبالغ فيها إلى حد كبير، فروسيا الاتحادية ستتحدى هذه الأحادية عبر تحويل نفسها إلى قطب عالمي من خلال تطوير علاقاتها مع دول الشرق الأوسط على الصعيد الاقتصادي والإستراتيجي .^(١٦) كما أنها لا تقبل صدارة الولايات المتحدة الأمريكية في النظام العالمي في الوقت الذي تريد إقامة علاقات طيبة معها وليس العكس، إذ تسعى لأن تكون جزء من نظام عالمي تفتقد فيه الإدارة الأمريكية إلى الصدارة والهيمنة .^(١٧)

وتمثل العلاقات مع روسيا الاتحادية عنصرا بالغ الأهمية والحساسية بالنسبة للإدارة الأمريكية فبرنامج السياسة الخارجية يضع على رأس أولوياته ملفات معقدة لا يمكن حلها بدون الاستعانة بمساعدة روسيا الاتحادية أجل التصدي لموضوعات شائكة ، كالملف النووي الإيراني والوضع في أفغانستان والبرنامج النووي لكوريا الشمالية، فالصعوبات التي سبق أن واجهتها الإدارة الأمريكية السابقة والتي فضلت التصدي لها باعتماد سياسة خارجية انفرادية أفضت إلى حدوث تراجع للنفوذ والهيمنة الأمريكية .^(١٨) وتسعى الإدارة الأمريكية الجديدة إلى إقامة علاقات بناءة مع روسيا الاتحادية في المجالات التي يمكن التعاون فيها ضمن الاحترام والمصلحة المتبادلة .^(١٩)

ولكن ذلك لم يمنع من أن تلقي العقوبات الأمريكية بظلالها على أوروبا قاطبة ، إذ تقدر خسائر الاتحاد الأوروبي بعد مرور ٣ سنوات بحوالي ٢٢٠ مليار دولار ، علما أن حجم التبادل التجاري بين روسيا والاتحاد الأوروبي يصل إلى حوالي ٢٧٠ مليار دولار .^(٢٠)

يؤكد خبراء اقتصاديون إن الاتحاد الأوروبي هو الطرف الأكثر تضرراً جراء العقوبات التي فرضها ضد روسيا الاتحادية ، وذلك لان الاتحاد الأوروبي يعد الشريك التجاري الأول لروسيا الاتحادية ، إذ تشير بعض الإحصائيات إلى أن حجم استيراد المواد الغذائية ارتفع في روسيا خلال الفترة ما بين ٢٠٠٠ و ٢٠١٣ سبع مرات، من ٧ مليارات إلى ٤٣ مليار دولار

سنويًا ، وبسبب العقوبات تكبد مجمل الاقتصاد الأوروبي خسائر تقدر بنحو ٢٢٠ مليار دولار في عام واحد، ويذكر أن إجمالي التبادل التجاري بين الاتحاد الأوروبي وروسيا بلغ نحو ٢٧٠ مليار دولار في عام ٢٠١٢، وهو أعلى بكثير من مستوى التبادل التجاري بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، وتعد الأدوية والسيارات والهواتف النقاله والطائرات من أهم الصادرات الأوروبية إلى روسيا فيما يعد النفط والغاز والفحم من أهم الواردات من روسيا وفي الوقت الذي تعد أغلب الدول الأوروبية متأثرة بتلك العقوبات، هناك دول تأثرت أكثر من دول أخرى، مثل فنلندا، فالاقتصاد الفنلندي مرتبط بشكل كبير بالسوق الروسية، إذ تشكل حصة روسيا نحو (١٤%) من حجم التبادل التجاري الكلي لفنلندا. وبعد الإعلان عن إجراءات الحظر الروسية، أعلنت شركة "فاليو" الفنلندية إيقاف خطوط إنتاجها المخصصة لتلبية المتطلبات الروسية من منتجات الألبان، إذ تشكل منتجات فاليو (٤٠%) من صادرات فنلندا الغذائية إلى روسيا، وفي ليتوانيا يؤكد خبراء إلى تخفيض إجمالي الناتج المحلي بنسبة (٢.٥%) وهو حجم الصادرات الليتوانية لروسيا ، وتسببت العقوبات أيضًا لإلحاق ضرر كبير بقطاع الزراعة الفرنسي، إذ أضرت بمصالح المزارعين الفرنسيين، والجدير بالذكر أن حجم التبادل التجاري بين فرنسا وروسيا يبلغ نحو ١٥ مليار دولار ، وفي العام ٢٠١٠ بلغت واردات الاتحاد الأوروبي من روسيا ١١٣ مليار يورو، وتعد ألمانيا البلد الأولى من حيث الصادرات إلى روسيا بنسبة (٣١%) تليها إيطاليا (٩%) ومن ثم تأتي فرنسا وهولندا بنسبة ٧% لكل منهما، وتصدرت ألمانيا قائمة المستوردين من روسيا بنسبة (١٩%) تليها هولندا بنسبة (١٤%) وبولندا بنسبة (٩%) ، وجراء العقوبات تكبدت النمسا خسائر كبيرة، أدت لخسارة ٧٠٠٠ وظيفة هناك علاوة على انخفاض النشاط الاقتصادي بقيمة ٥٥٠ مليون يورو في ٢٠١٥ بحسب دراسة أجراها المعهد النمساوي للبحوث الاقتصادية، وجاء في الدراسة أن عدد الوظائف المفقودة على مستوى الاتحاد الأوروبي بلغ نحو ٤٠٠ ألف وظيفة، وتسبب في انخفاض النشاط الاقتصادي بما يساوي قرابة ١٧.٦ مليار يورو أو ما يعادل ١٨.٦ مليار دولار. (٢١)

الخاتمة

أن روسيا الاتحادية عاقدة العزم على الحضور الفعال إذا ما تطلبت مصلحتها القومية ذلك ، وهي تتمتع بميزة إضافية للتحرك تعطيها نقطة أولوية على صعيد التعامل مع الملفات العالقة ، والرغبة الروسية في إحياء الحلم الروسي بعودتها إلى مصاف التوازنات الدولية وفرض وجودها كقوة دولية مؤثرة ذات قرار فاعل ، مما يعني عودة الروح إلى الفيتو الروسي الذي فقد هيئته أمام الفيتو الأمريكي في أروقة مجلس الأمن الدولي . إذن المعضلة

الكبيرة أمام الولايات المتحدة الأمريكية بأنها محددة بشكل كبير في الخيارات ، بينما تتمتع روسيا الاتحادية بهامش واسع من خيارات التحرك . أن الإستراتيجية الأمريكية القومية تمر في أزمة ، إذ لا تملك الولايات المتحدة الأمريكية قوة لمواجهة تهديدين، وعليها أن تختار واحدا منهما ، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على الرغبة في عود الحرب الباردة بأسلوب أكثر تطورا واستفادة من تجارب الماضي ربما من خلال ظهور أكثر من قطب منافس للولايات المتحدة الأمريكية كالصين واليابان أو ألمانيا أو الاتحاد الأوروبي وليس فقط روسيا الاتحادية .

وتسعى الإدارة الأمريكية إلى إقامة علاقات بناءة مع روسيا الاتحادية في المجالات التي يمكن التعاون فيها ضمن الاحترام والمصلحة المتبادلة في ظل قناعة أمريكية بأن المرحلة السابقة عرفت تضيقا كبيرا على روسيا الاتحادية وتميزت بأحادية مفرطة وصلت إلى درجة الرجوع إلى حقبة الحرب الباردة، إذ شكلت حرب روسيا ضد جورجيا إشارة قوية إلى الإدارة الأمريكية وحلفائها على مدى ما يمكن أن تذهب إليه روسيا في الدفاع عن مصالحها الحيوية فيما تسميه الجوار القريب ، وعلى الرغم من الموقف الأمريكي الداعم للتقارب مع روسيا إلى أنه ما زال لدى الأوساط السياسية الروسية اعتقاد بأن السياسة الأمريكية لن تشهد تغييرات جذرية، على إعتبار أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تزال تحت تأثير بقايا الحرب الباردة، وأن أغلبية مؤسسات إنتاج السلاح وشركات النفط تجد في تصعيد التوتر بين البلدين مصالح مباشرة، كما لا تعتقد روسيا بأن الإدارة الأمريكية ستراجع عن نشر أسلحتها الإستراتيجية الهجومية خارج أراضيها .

الهوامش

- ١- بول نترز :- هو سياسي من الولايات المتحدة الأمريكية ولد في أميرست، ماساتشوستس ، تولى منصب الأمين العام للمدة بين ١٩٦٣/١١/٢٩ ولغاية ١٩٦٧/٦/٣٠، تعلم في جامعة هارفارد ، وأدار جامعة جونز هوبكنز ، حصل على جوائز منها وسام "العمل الشجاع في الحرب الوطنية العظمى ١٩٤١-١٩٤٥، وجائزة أريك-م-اربورغ، ووسام الحرية الرئاسي، ووسام الاستحقاق .
- ٢- نقلا عن : زياد عبد الوهاب النعيمي: العلاقات الروسية- الأمريكية ، ملامح أولية لحرب باردة ، مركز الدراسات الإقليمية ، جامعة الموصل، ٢٠٠٨ /١١/٧ .
- ٣- جلال خشيب : التوجهات الكبرى للإستراتيجية الأمريكية بعد الحرب الباردة ، دراسة منشورة ، صحيفة الحوار المتمدن الالكترونية ، العدد ٣٨١٨ ، ٢٠١٢/٨/١٣ .
- ٤- السيد أمين شلبي: بوتين وسياسة روسيا الخارجية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٥، كانون الثاني ٢٠٠٩، المجلد ٤٤، ص ٢٥٧ .
- ٥- أحمد ذياب : روسيا واللعبة الكبرى في آسيا، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٦٧، كانون الثاني ٢٠٠٧، المجلد ٤٢، ص ١٢٣ .
- ٦- محمد يوسيتش : روسيا في عالم متعدد المراكز: صراع النفوذ والهيمنة ، تقرير ، مركز الجزيرة للدراسات ، ٢٠١٦/٧/٢٥ .
- ٧- حرب القوقاز بداية أم نهاية، المكتبة الالكترونية :-
<http://www.arabrenewal.org/>
- ٨- تقرير شبكة الجزيرة الإعلامية ، ٢٠١٩ .
- ٩- فريد حاتم الشحف: العلاقات الروسية الإيرانية وأثرها على الخريطة الجيوسياسية في منطقة الخليج العربي ومنطقة آسيا الوسطى والقفقاس ، دمشق، دار الطليعة الجديدة ، ٢٠٠٥، ص ١١٦ .
- ١٠- عادل مالك: من البحر الأبيض إلى البحر الأسود، مشاريع حروب ساخنة وباردة.. بداية سقوط الأحادية الأمريكية وانبعاث الثنائية التقليدية ، جريدة القدس، ١ أيلول ٢٠٠٨ .
- ١١- معركة القوقاز خفيات الصراع الجورجي - الروسي وأبعاده ، المكتبة الالكترونية :
<http://www.almoustshar.com>
- ١٢- للمزيد من التفاصيل ينظر في "الحرب الباردة بين روسيا والغرب وتأثيرها على المنطقة، المكتبة الالكترونية: <http://www.alalam.ir/site>
- ١٣- محمد السيد سليم: التحولات الكبرى في السياسة الخارجية الروسية ، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٠، تشرين الأول ٢٠٠٧، المجلد ٤٢، ص ٤٤ .
- ١٤- فارس فائق ظاهر : دراسة في التحول في العلاقات الروسية الأمريكية بعد حرب القوقاز ، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية ، ٢٠١٦/١١/٢٦ .

- ١٥- تقرير شبكة الجزيرة الإعلامية ، ٢٠١٩ ، مصدر سابق ، وللمزيد ينظر في :-
<https://annabaa.org/arabic/reports>
- ١٦- زياد عبد الوهاب النعيمي : مصدر سبق ذكره .
- ١٧- سيناريوهات الرد الروسي على العقوبات الأمريكية ، قناة روسيا اليوم ، بتاريخ ٢٠١٨/٨/١٠ ، بتوقيت ١١:٢٥ GMT
- ١٨- بول سالم: مضاعفات حرب جورجيا على النظام العالمي والمنطقة العربية، القدس، ١٢ أيلول ٢٠٠٨.
- ١٩- جورج فريدمان: مبدأ مدفيدف والإستراتيجية الأمريكية، مجلة المستقبل العربي، تشرين الأول ٢٠٠٨، العدد ٣٥٦، ص ١٢٢-١٢٨.
- ٢٠- أحمد نياب، أوباما وإعادة صياغة العلاقات الأمريكية الروسية ، مجلة السياسة الدولية، عدد: ١٧٥، يناير ٢٠٠٩، المجلد ٤٤، ص ٢٠-٢٥.
- ٢١- منير شفيق، الحرب الروسية الجورجية مقدمات وأبعاد، عن الموقع الإلكتروني:
<http://www.aljazeera.net>
- ٢٢- محمود الحمزه : العقوبات الغربية على روسيا وآثارها ، مقال منشور ، صحيفة جيرون السورية ، ٦ / تشرين الثاني / ٢٠١٧ ، المكتبة الالكترونية :-
<https://geiron.net/archives>
- ٢٣- مناف قومان : ماذا حدث بعد ٣ سنوات من العقوبات الأوروبية على روسيا ، مقال منشور ، صحيفة نون بوست ، ٢٤/٣/٢٠١٧ ، المكتبة الالكترونية :-
<https://www.noonpost.com>

المصادر

- ١- أحمد نياض، أوباما وإعادة صياغة العلاقات الأمريكية الروسية ، مجلة السياسة الدولية، عدد: ١٧٥، يناير ٢٠٠٩، المجلد ٤٤.
- ٢- أحمد نياض : روسيا واللعبة الكبرى في آسيا، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٦٧، كانون الثاني ٢٠٠٧، المجلد ٤٢.
- ٣- الحرب الباردة بين روسيا والغرب وتأثيرها على المنطقة، المكتبة الالكترونية: <http://www.alalam.ir/site>
- ٤- السيد أمين شلبي: بوتين وسياسة روسيا الخارجية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٥، كانون الثاني ٢٠٠٩، المجلد ٤٤ .
- ٥- بول سالم: مضاعفات حرب جورجيا على النظام العالمي والمنطقة العربية، القدس، ١٢ أيلول ٢٠٠٨.
- ٦- جلال خشيب : التوجهات الكبرى للإستراتيجية الأمريكية بعد الحرب الباردة ، دراسة منشورة ، صحيفة الحوار المتمدن الالكترونية ، العدد: ٣٨١٨ ، ١٣/٨/٢٠١٢ .
- ٧- جورج فريدمان: مبدأ مدفوف والإستراتيجية الأمريكية، مجلة المستقبل العربي، تشرين الأول ٢٠٠٨، العدد ٣٥٦.
- ٨- حرب القوقاز بداية أم نهاية ، المكتبة الالكترونية :-
<http://www.arabrenewal.org/>
- ٩- زياد عبد الوهاب النعيمي: العلاقات الروسية- الأمريكية ، ملامح أولية لحرب باردة ، مركز الدراسات الإقليمية ، جامعة الموصل، ٧/١١/٢٠٠٨ .
- ١٠- سيناريوهات الرد الروسي على العقوبات الأمريكية ، قناة روسيا اليوم ، بتاريخ ١٠/٨/٢٠١٨ ، بتوقيت ١١:٢٥ GMT
- ١١- شبكة الجزيرة الإعلامية ، ٢٠١٩ .
- ١٢- عادل مالك: من البحر الأبيض إلى البحر الأسود، مشاريع حروب ساخنة وباردة.. بداية سقوط الأحادية الأمريكية وانبعاث الثنائية التقليدية ، جريدة القدس، ١ أيلول ٢٠٠٨ .
- ١٣- فارس فائق ظاهر : دراسة في التحول في العلاقات الروسية الأمريكية بعد حرب القوقاز ، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية ، ٢٦/١١/٢٠١٦ .
- ١٤- فريد حاتم الشحف: العلاقات الروسية الإيرانية وأثرها على الخريطة الجيوسياسية في منطقة الخليج العربي ومنطقة آسيا الوسطى والقفقاس ، دمشق، دار الطليعة الجديدة ، ٢٠٠٥ .
- ١٥- محمد السيد سليم: التحولات الكبرى في السياسة الخارجية الروسية ، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٠، تشرين الأول ٢٠٠٧ .
- ١٦- محمد يوسينتش : روسيا في عالم متعدد المراكز: صراع النفوذ والهيمنة ، تقرير ، مركز الجزيرة للدراسات ، ٢٥/٧/٢٠١٦ .

- ١٧- محمود الحمزه : العقوبات الغربية على روسيا وأثارها ، مقال منشور ، صحيفة جيرون السورية ، ٦ / تشرين الثاني / ٢٠١٧ ، المكتبة الالكترونية :-
<https://geiroom.net/archives>
- ١٨- معركة القوقاز خلفيات الصراع الجورجي - الروسي وأبعاده ، المكتبة الالكترونية :
<http://www.almoustshar.com>
- ١٩- مناف قومان : ماذا حدث بعد ٣ سنوات من العقوبات الأوربية على روسيا ، مقال منشور ، صحيفة نون بوست ، ٢٤ / ٣ / ٢٠١٧ ، المكتبة الالكترونية :-
<https://www.noonpost.com>
- ٢٠- منير شفيق، الحرب الروسية الجورجية مقدمات وأبعاده، عن الموقع الإلكتروني:
<http://www.aljazeera.net> –
- ٢١- المكتبة الالكترونية :- <https://annabaa.org/arabic/reports>